مجلة العلوم الاجتماعية

فصلية علمية محكمة - تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

الشرف ودلالاته الاجتماعية في صعيد مصر
«دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الثقافية»

محمد عبد الراضي

جامعة الكويت

مجلس النشر العلمي

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 0253 - 1097

المجلد ٥٠ - العدد ٢

٢٠٢٢

Doi: 10.34120/0080-050-002-005

Honor and its Social Significance in Upper Egypt: «Field Study in Culture Anthropology»

Mohamed Abdelradi

Abstract:

Objective: The study aims to define honor, its symbols in Upper Egypt, and its social significance, trying to discover the cultural practices of honor concept in the research society, and to recognize the relation between the concept of honor and gender. **Methods:** The sample of the study comprised 20 informants from the Elshotbiya village, located in Nag Hammadi Center in Qena governorate, in Upper Egypt, whose ages ranged from 20-60 years, and the interview guide was used as an essential tool for the study. It included four topics: The first focused on the essential data and social characteristics; the second was related to the concept of honor and its social significance; the third focused on honor and its vision from the other, and the fourth was related to cultural practices and attitudes embodied in honor. The study was based on the anthropological method and symbolical interaction theory as theoretical orientation. **Results:** The results showed that the Honor concept is a relative cultural concept that differs among the people of the same society according to the educational level, the social status, and the social class. Honor is a gender concept, and it is a symbolic capital; protecting honor is the responsibility of men by controlling the women of society. The elderly, virginity, profession, and taking revenge are cultural symbols of honor in our society. Norms of honor differ according to gender in society. Cultural practices, based on the honor concept, still exist in the study society, such as female genital mutilation. **Conclusion:** The value system and the cultural context are the most important factors affecting the formation of the concept of honor.

Key words: Honor, Honor symbols, Symbolic capital, Symbolic interaction, Social significance, Gender.

الشرف ودلالاته الاجتماعية في صعيد مصر
«دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الثقافية»

محمد عبد الراضي*

ملخص:

هدف الدراسة: تسعى الدراسة إلى رصد مفهوم الشرف ودلالاته ورموزه الاجتماعية في صعيد مصر، وتحاول الكشف عن الممارسات الثقافية المرتبطة بهذا المفهوم في مجتمع الدراسة، وطبيعة العلاقة بين مفهوم الشرف والجندر. **المنهجية:** بلغ عدد أفراد العينة 20 من الإخباريين بقرية الشطبية الكائنة بمركز نجع حمادي بمحافظة قنا، راوحت أعمارهم بين 20و60 سنة، وقد استخدمت دليل المقابلة أداة رئيسة للدراسة. وشمل الدليل أربعة محاور، الأول: يرصد البيانات الأساسية والخصائص الاجتماعية. الثاني: يتعلق بمفهوم الشرف ودلالاته الاجتماعية. الثالث: يركز على الشرف ورؤية الآخر. الرابع يرصد الممارسات الثقافية والمواقف المجسدة للشرف. اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي، وعلى التفاعلية الرمزية كمدخل نظري. **النتائج:** الشرف مفهوم ثقافي نسبي يختلف بين أبناء المجتمع الواحد وفقاً للمستوى التعليمي والمكانة الاجتماعية والطبقة الاجتماعية، الشرف مفهوم جندري، الشرف رأس مال رمزي، الرجل مسؤول في مجتمع الدراسة عن حماية شرفه من خلال إحكام السيطرة على الإناث، وإلزامهن بالحشمة والالتزام، هناك كثير من رموز الشرف في مجتمع الدراسة؛ ككبار السن، العذرية، المهنة، الأخذ بالثأر. معايير الشرف تختلف وفقاً للنوع الاجتماعي، يعد ختان الإناث من الممارسات الثقافية الناجمة عن صياغة مفهوم الشرف في مجتمع الدراسة. **الخلاصة:** النسق القيمي والسياق الثقافي يعتبران من أبرز العوامل المؤثرة في تشكل مفهوم الشرف.

المصطلحات الأساسية: الشرف، رموز الشرف، رأس المال الرمزي، التفاعلية الرمزية، الدلالة الاجتماعية، الجندر.

(*) قسم الأنثروبولوجيا الثقافية، كلية الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة. Email: prof_mohamedabdo@yahoo.com

تمهيد:

تنبع أهمية دراسة مفهوم الشرف كمفهوم ذي صبغة ثقافية من ارتباطه بالنسق القيمي للمجتمعات الإنسانية المختلفة، بغض النظر عن الخصوصية الثقافية التي تميز تلك المجتمعات. ومفهوم الشرف يعكس في مكوناته مؤشرات تنتظم العلاقات الاجتماعية في المجتمع. فالشرف -كمفهوم ثقافي- يرمز إلى البنية التركيبية للمجتمع. وقد ذهب عدد من الدراسات إلى أن هناك مجتمعات يلعب فيها مفهوم الشرف دوراً محورياً في تشكيل بنائها الاجتماعي؛ بما قاد الباحثين والأنثروبولوجيين إلى أن يُلقبونها باسم مجتمعات ثقافات الشرف. فالشرف يُبنى في تلك المجتمعات أفقياً؛ بحيث يمتد في الجماعة ككل، وهنا يذهب بلومر إلى تأكيد أن أفعال الفرد ترتبط بتلك الجماعة بشكل أو بآخر؛ فهي التي تعكس شكلاً من أشكال الحياة الاجتماعية من خلال التمثيل الفعلي للأفراد، ويتضح هذا التمثيل في عدد من أنماط التفاعل؛ ليصبح المجتمع بمثابة العالم الذي يشكله الآخرون، بما في ذلك الشخص نفسه (Blumer, 2004: 95). ويؤكد بلومر أنه يجب النظر إلى الوحدات التي تمثل البنية الاجتماعية على أنها أفراد يتصرفون، وأن المجتمع يتشكل من استمرارية تلك الأفعال، ويذهب هنا رافضاً الممارسات الاجتماعية لعلماء الاجتماع؛ ومن ثم فالمجتمع مكون من وحدات اجتماعية لا تعمل؛ وهي وحدات حية تستوجب إظهار الاحترام للشروط التي تعمل بموجبها. وأشار إلى أن أحد تلك الشروط هو أن الفعل يحدث وفقاً للشروط التي تحددها الوحدات، وأن الفعل يتم تفسيره عن طريق الموقف (Blumer, 1969, 85). وهنا يصبح الفرد وحدة ينصهر بأفعاله وسلوكياته في بنية مجتمع ممثلاً لبنيته الثقافية وداعماً لها. وتتضح صورة التفاعل تلك في بعض تصوراته ورؤياه لصور من أنماط ثقافته المحلية، التي يعد الشرف معبراً أصيلاً عنها. وهنا تبرز قواعد السلوك في ثقافات الشرف؛ لتكون مؤشراً دالاً على السمعة الطيبة والصورة الاجتماعية للنفس في نظر الآخرين. فالشرف يعد في تلك المجتمعات بمنزلة المقياس لقيمة الفرد في المجتمع، ويعد محدداً أصيلاً لمكانته داخل الجماعة ولرأس ماله أيضاً. ومن أمثلة تلك الدراسات دراسة (abu Lughod,1986)، التي تناولت الحديث عن ثقافة الشرف وقانون الشرف البدوي لدى قبائل أولاد علي، ودراسة (Guerra et al.,2013) التي قدمت مقياساً للشرف، فضلاً عن دراسة

(Cooney, 2014)، التي تناولت الحديث عن فكرة الجرائم المرتبطة بالشرف والانتقام بدافع الشرف. ودراسة (Miller, 1995)، التي ركزت على الممارسات والسلوكيات المرتبطة بالشرف، كما تناولت أوجه الاختلاف بين مفاهيم الشرف والعار والذل.

وبالرؤية التي قدمها بلومر للمجتمع أو للوحدات يمكننا النظر إلى الشرف على أنه واحدة من القيم والسلوكيات التي يعبر عنها الأفراد وتتضح من خلال تحليل مواقف الأفراد تجاه تلك المواقف، ويمكن تحليل قيمة الشرف في مجموع السلوكيات وردود أفعال المجتمع باختلاف الوحدات التمثيلية بداخله؛ ومن ثم فهو يندرج ضمن موضوعات البناء الاجتماعي بما يحمله لكثير من المعاني والدلالات المتباينة، منها ما يشير إلى الوضع الطبقي، ومنها ما يشير إلى البعد الجنسي وتنظيم العلاقات بين الجنسين، ويرجع الاهتمام بها إلى نطاق الشخصية والفعل الاجتماعي (رشاد، 1995).

أولاً - إشكالية الدراسة:

يمثل الشرف وحدة أساسية في بنية المجتمعات المحلية، وبخاصة تلك المجتمعات التي تقوم على التنظيم التقليدي؛ فالمجتمع الذي تعد فيه القبيلة وحدة أساسية للبنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية، يشكل فيها الشرف نقطة ارتكاز بما ينقله إلى مرحلة أخرى تجعل منه مصدراً للضبط الاجتماعي غير الرسمي، وبناء عليه؛ تتحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية ويرسم لها مسارها، ومن بعض السلوكيات التي ارتبطت بالشرف ارتباطاً وثيقاً مجموع سلوكيات الهيمنة الذكورية، التي أنتجت شكلاً من أشكال الرأسمالية الرمزية، يُمارس من خلالها نوع من العنف الرمزي على المرأة، وقصرت أغلب المجتمعات الشرف على بعدين أساسيين، الأول يتعلق بالرجل، ويتمثل الشرف لديه في قيمه وأخلاقه، أما الثاني؛ فيتعلق بالمرأة ويتجسد الشرف في عذريتها. والجدير بالذكر أن الخصوصية الثقافية والأبنية الاجتماعية للمجتمعات تؤدي دوراً ملحوظاً في البنية التركيبية لمفهوم الشرف، وتجعل منه أساساً للواقع المعيش لأفراد هذه المجتمعات. إن مجتمع الدراسة الراهنة لهو مجتمع يقوم على القبيلة وحدة أساسية للتمثيل، ويشكل فيه الشرف قيمة أصيلة ومكوناً أساساً تُبنى عليه أفعال القبيلة. فالشرف هنا المسؤول عن رسم مسار القبيلة

والفرد، والمحدد لمكانتهما بين القبائل الأخرى والمجتمعات المناظرة. ويعد مفهوم المجتمع الذكوري من أكثر الصفات التي يتميز بها المجتمع القبلي؛ حيث يُعلي من قيمة الشرف ومكانته، ويجعله في مقابل العار؛ ففاقد الشرف يعد جالباً للعار من منظور المجتمع. ومن منطلق الخصوصية الثقافية لذلك المجتمع، تبلورت إشكالية دراستنا في تساؤل رئيس مؤداه:

ما مفهوم الشرف؟ وما رموزه ودلالاته الاجتماعية والممارسات الثقافية المرتبطة به في مجتمع الدراسة بصعيد مصر؟

ثانياً - أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع:

1- ندرة الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت موضوع الشرف ودلالاته الاجتماعية في المجتمع المصري بصفة عامة ومجتمع الدراسة بصعيد مصر بصفة خاصة.

2- تركيز الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية على جرائم الشرف ومظاهرها ودوافعها، وأغفلت مفهوم الشرف ورموزه ودلالاته الاجتماعية.

3- الخصوصية الثقافية التي يحظى بها مجتمع الدراسة، تجعل هذه الدراسة من أوائل الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت مفهوم الشرف وثقافته في المجتمع؛ حيث يعد «الباحث» من أبناء مجتمع الدراسة؛ الأمر الذي ساعده في إجرائها نظراً لحساسية موضوعها.

4- تقديم رؤية أنثروبولوجية تحليلية لمفهوم الشرف والممارسات الثقافية المرتبطة به في مجتمع الدراسة.

ثالثاً - أهداف الدراسة:

1 – إلقاء الضوء على مفهوم الشرف والتصورات المرتبطة به في مجتمع الدراسة.

2 – الكشف عن طبيعة العلاقة بين مفهوم الشرف والبعد الجندري للمفهوم.

3 – رصد رموز الشرف ودلالاته الاجتماعية في مجتمع الدراسة.

4 – رصد الممارسات الثقافية المرتبطة بالشرف في صعيد مصر.

5 – تعرف معايير تقييم الشرف في مجتمع الدراسة.

رابعاً - تساؤلات الدراسة:

1 – ما مفهوم الشرف وما دلالاته ورموزه الاجتماعية؟

2 – ما طبيعة العلاقة بين مفهوم الشرف ومفهوم الجندر؟

3 – هل هناك اختلاف بين شرف الرجل وشرف المرأة في مجتمع الدراسة؟

4 – هل يعد الشرف مؤشراً لقياس رأس المال الرمزي؟

5 – هل توجد ازدواجية في معايير الحكم على الشرف في مجتمع الدراسة؟

6 – ما الممارسات الثقافية المرتبطة بالشرف في مجتمع الدراسة؟

خامساً - الدراسات السابقة:

تناولت عديد من الدراسات والأدبيات النظرية مفهوم الشرف وقياسه؛ لكونه من المفاهيم التي تعمل على تنظيم حركة العلاقات الاجتماعية، كما يعد من المفاهيم التي ترصد ملامح البناء الاجتماعي من خلال رمزية المفهوم ودلالاته الاجتماعية؛ ومن ثم بات لزاماً علينا أن نستعرض الكيفية التي تناولت بها الدراسات السابقة قيمة الشرف في ضوء الأدبيات المختلفة والسياقات الاجتماعية والثقافية المختلفة؛ حتى نتمكن من رصد صورة مكتملة الأبعاد عن المفهوم، ورؤيته بنظرة نقدية تفيد طبيعة دراستنا الراهنة.

دراسة (مختارية، 2018)، وهدفت إلى تعرّف مفهوم شرف المرأة في الثقافة الجزائرية، ومحددات قيمة شرف المرأة في الثقافة الجزائرية، وأخيراً تعرّف إمكانية الحديث عن استمرارية منظومة ذهنية تقليدية مجسدة في مقولة العذرية أمام التطور التكنولوجي وظهور العذرية الاصطناعية. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- ينعكس شرف المرأة الجزائرية في بعدين أساسيين، هما: – **البعد الأول:** مرتبط بالشكل الخارجي للمرأة وكيفية ضبطه تحت السلطة الرمزية للأسرة والمجتمع؛ ففي العائلة التقليدية كانت الفتاة تُمنع قبل زواجها من استخدام مواد التجميل، فلا تضع الكحل ولا تستعمل المساحيق. **البعد الثاني:** له علاقة وطيدة بالجنس الآخر، وهو الرجل؛ إذ المرأة الشريفة هي تلك المرأة التي لم يسبق لها أن كلمت رجلاً أو تعاملت معه.

- الرباط معتقد شعبي يطلق عليه «طقس الإغلاق» في الثقافة الجزائرية التقليدية، وهو سلوك سحري يُستخدم وسيلة وقائية لحماية شرف الفتاة.
- العذرية ما زالت الدليل الملموس على شرف المرأة في الجزائر.
- هناك عديد من المتغيرات التي طرأت على الثقافة الجزائرية فيما يتعلق بشرف المرأة، ومنها الموضة، العذرية الاصطناعية.

دراسة (كركوب،2017)، وهدفت إلى تعرّف قيمتي العرض والشرف داخل الأسرة المغربية وعلاقة الشرف بالمكان – الحيز الجغرافي – من خلال استعراض وتحليل نتائج الدراسات التي أجريت في المجتمع المغربي فيما يتعلق بالعرض والشرف، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك علاقة وثيقة بين الشرف والفضاء الاجتماعي؛ فالمكان في المجتمع المغربي مقدس؛ وذلك لعلاقته بقيمة الشرف؛ فشرف القبيلة لا ينفصل عن شرف أعضائها. ويقترن الشرف بمجموعة من الرموز والصفات؛ مثل الحياء والحشمة والفحولة والرجولة. وشرف الرجل يتمثل في الحفاظ على شرف القبيلة والعمل على وحدتها، ويقع على الأسرة المغربية دور كبير في نقل القيم والممارسات الثقافية المتعلقة بالشرف من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

دراسة (Brooks, 2016)، وهدفت إلى تعرّف مفهوم الشرف لدى النساء الأمريكيات من أُصول عربية، وخبرات هؤلاء النسوة في التعامل مع المفهوم في ظل ثقافة المجتمع الأمريكي، وتعد الدراسة من الدراسات الاستكشافية التي أُجريت على عينة، قوامها (13) مفردة يقعن في المرحلة العمرية ما بين (25 و35) من أُصول مصرية وسورية وليبية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها: أن الشرف عنصر أساسي في تشكيل قيمة الفرد الاجتماعية، ومن مظاهره (الزواج، الأسرة، الاندماج الاجتماعي)، وأن الدين يؤدي دوراً محورياً في تشكيل مفهوم الشرف لدى النساء الأمريكيات من أصول عربية. وما زال هناك تمسك بالعادات والتقاليد العربية المتعلقة بالشرف على الرغم من التعايش مع ثقافة المجتمع الأمريكي، والنساء هن أوصياء الشرف في المجتمع العربي الأمريكي، وفقدان الشرف كسر للقواعد التي وضعتها الأسرة.

دراسة (بوزيدي، 2014)، وهدفت إلى تعرّف مفهوم الشرف لدى مجموعة من الطالبات، وأجريت على عينة، قوامها (132) طالبة جامعية، واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، واتخذت الاستبانة أداة لجمع البيانات، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، أهمها: أن مفهوم الشرف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعذرية؛ حيث مازال للعذرية في تصور المبحوثات مكانة اجتماعية قوية؛ كتلك التي يراها المجتمع التقليدي؛ حيث مثلت المبحوثات اللائي ربطن الشرف بوجود عذرية 67.48 %، وهذا ما يعبر فعلاً عن معنى الإدراك الجدي للمبحوثات لمتطلبات الجماعة التقليدية، ويكون ذلك معبراً للدخول في الحياة الاجتماعية من خلال نقطة الفصل التي تمثلها «ليلة الدخلة»، كما أن 82.39 % من المبحوثات، ربطن الشرف بالكفاءة وقوة المرأة في تحقيق وجودها داخل المجتمع، هذا ما فسر أيضاً دلالات الفكر الغربي لمكانة المرأة في هذه المجتمعات؛ لكونها عنصراً فاعلاً، وتحقيق ذاتها – وهي في هذه الدراسة تأكيد هويتها بكفاءتها العلمية والمهنية، وحتى الجنسية – من خلال كفاءتها التعليمية والمهنية، وقد تعني القوة أيضاً قدرة المرأة على استغلال جسدها لتحقيق أهدافها. لقد ساعدت الظروف الاجتماعية السابقة على قوقعة الشرف وتحديد مجاله؛ لأن المرأة كانت محصورة في فضاء داخلي مغلق، وهو البيت، وأمام موجة التحولات التي شهدتها المجتمعات خرجت المرأة إلى ميدان العمل وتوجهت نحو التعليم لتكون منافسة للرجل في كل المجالات، وانتقل مجال المرأة من فضاء مغلق إلى فضاء موسع، اختلفت فيه ميكانيزمات تحديد مقياس الشرف، وقد اتضح ذلك من خلال تصور الطالبات للمفهوم نفسه.

دراسة (Crook, 2009)، وهدفت إلى تعرّف ثقافة الشرف والعار في مجتمعات البحر المتوسط، وتوصلت إلى عدة نتائج، أهمها: أن هناك نمطين من الشرف في ثقافات البحر المتوسط، الأول منهما الشرف الموروث، ويرثه الفرد وفقاً لعائلته وعرقه، والثاني هو الشرف المكتسب الذي يكتسبه الفرد عن طريق سماته الشخصية وسلوكياته الاجتماعية. وتؤدي السلطة والثروة والمكانة الاجتماعية دوراً في تشكيل مفهوم الشرف والعار في مجتمعات البحر المتوسط. كما أن ثقافات الشرف لا توجد في مجتمعات البحر المتوسط فقط بل توجد في اليابان وأمريكا الجنوبية وبعض أنماط الثقافات الفرعية.

دراسة (حسين، 2006)، وهدفت إلى تعرّف التصورات المختلفة المرتبطة بمفهوم العذرية داخل الثقافة المصرية، والمجال الدلالي لمفهوم العذرية داخل الثقافة المصرية ورصد الآليات التي تفرضها الثقافة للمحافظة على عذرية الأنثى. تكونت عينة الدراسة من (24) مفردة، واعتمدت على المنهج الأنثروبولوجي بأدواته المختلفة: دليل العمل الميداني ودليل المقابلة، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، أهمها: تعتبر قيمة الشرف من أهم القيم الاجتماعية المتداخلة والمؤثرة والمدعمة لقيمة العذرية، وأن موضع الشرف للفتاة هو موضع العذرية البيولوجية المتمثلة في غشاء البكارة؛ ومن ثم يتأكد الشرف لدى الفتيات من خلال طقوس الزواج، وكشفت الدراسة أيضاً أن نمط الزي والزينة للفتاة إنما يُفرض عليه أيضاً بعض القيود، بهدف ضبط العذرية والحفاظ على الشرف.

دراسة (Dodd, 1973)، وهدفت إلى تعرّف قيمة الشرف في المجتمعات العربية من خلال استعراض بعض المعتقدات المرتبطة بالشرف والعفة والكرامة في هذه المجتمعات؛ مثل مصر والأردن، والجزائر، وفلسطين والعراق، وكذلك رصد مدى تأثير قوى التغيير التي اجتاحت الدول العربية، المتمثلة في (التحضر، الثورة، التعليم) على صياغة مفهوم الشرف في هذه المجتمعات، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها:

- أن الشرف في المجتمعات العربية لا يختلف في بنيته المعرفية كثيراً؛ فالشرف والعفة مفهومان مترادفان في تلك المجتمعات، وقد دراسة أبو زيد التي أجراها عن الشرف بين قبائل البدو في الصحراء الغربية بمصر أن البدو يضعون قواعد ومعايير صارمة تنظم السلوك الجنسي، ومن يخالف تلك المعايير يعرض نفسه للانحراف الأخلاقي؛ ومن ثم للعقاب، وأن هناك قيوداً على المرأة البدوية؛ إذ من غير المسموح لها أن تكشف عن شعرها أو عن كفها أو أن تتحدث مع الغرباء. ولا يختلف الوضع كثيراً في الأردن؛ حيث نجد أن جرائم القتل بقصد الشرف أكثر انتشاراً، فمن تنحرف جنسياً يتم قتلها؛ لأن شرف العائلة مرتبط بشرف الفتاة، وإن ضاع شرف الفتاة – المتجسد في عفتها وعذريتها – يجب قتلها. أما في الجزائر؛ فقد كان المجتمع ذكورياً في المقام الأول، وتأتي المرأة في المرتبة الثانية، وتفرض عليها عديد من القيود؛ كالحشمة والالتزام. وأضافت الدراسة أن الأسرة العربية تعرضت لموجات من التغيير، تمثلت في ثلاث قوى رئيسة، هي:

- **التحضر:** حيث انتقلت الأسرة العربية من مجتمعات ريفية إلى مجتمعات حضرية، لديها نسق قيمي مختلف إلى حد ما، ويتسم بالكثافة السكانية والتنوع الإثني والتباين الأيديولوجي.
- **الثورة:** نجد هناك عديداً من الثورات التي حدثت في البلاد العربية؛ من أجل الحصول على الاستقلال؛ ففي حالة الجزائر عند ثورتها على الاستعمار الفرنسي حدث تغير ملحوظ في دور المرأة الجزائرية؛ إذ كانت تحمل السلاح وتعمل على نقله من مكان إلى آخر، وبعد أن كان المجتمع الجزائري مجتمعاً ذكورياً أصبح مجتمعاً ثنائياً قائماً على دور المرأة والرجل، وظهرت قيم جديدة في المجتمع؛ مثل المناداة بقيمة الأرض قبل الشرف، وقيم الوطن قبل قيم الأسرة.
- **التعليم:** إلحاق الفتيات بالتعليم والمناداة بالمساواة مع الرجل، قد أثر في تنمية الوعي لدى الفتيات بمدى أهمية دورهن في المجتمعات العربية.

موقف الدراسة من التراث النظري:

جاءت الدراسات والأدبيات النظرية لترصد لنا مدى أهمية دراسة الشرف بإعتباره مفهوماً ثقافياً، وحاولت الدراسات صياغة مفهوم شامل للشرف انطلاقاً من مبدأ العموميات الثقافية، لكن من الواضح أن ذلك غاية صعبة المنال؛ نظراً للخصوصية الثقافية للمفهوم. وقد أفادت الدراسات الباحث في تقديم صورة تقريبية لمجتمعات البحر المتوسط، وكيف يؤدي الشرف دوراً في تحقيق الضبط الاجتماعي غير الرسمي. وكذلك في توفير خلفية علمية ومنهجية حول موضوع الدراسة، ويرى الباحث أن بعض هذه الدراسات لم تحدد مدخلاً نظرياً واضحاً، كما أنها جاءت دراسات وصفية ذات طابع تاريخي أكثر من كونها دراسات ذات طابع أنثروبولوجي، وستركز هذه الدراسة على دراسة مفهوم الشرف من المنظور الأنثروبولوجي في إحدى قرى الصعيد بمصر؛ للكشف عن دلالاته والممارسات الثقافية المترتبة عليه.

سادساً - التوجه النظري للدراسة:

يعد مدخل التفاعلية الرمزية هو المدخل الأنسب والأكثر لياقة؛ الأمر الذي يمكّن الباحث من تفسير معطيات الدراسة وفهم أعمق لأبعادها، ومرد ذلك إلى أنها تستند إلى مفهومين أساسيين: الرمز والمعنى؛ لكونهما يحملان في داخلهما مؤشرات لتعرّف

الواقع الاجتماعي وفهم دلالته الاجتماعية، كما أن فهمهما يعكس صورة أو نمطاً من أنماط التفاعل الحادثة في مجتمع التفاعل، فاستخدام الرموز أمر قائم في كل المجتمعات البشرية للتعبير عن شيء له دلالة اجتماعية، وتهتم التفاعلية الرمزية بالطريقة التي يختار بها المشاركون في عملية التفاعل الاجتماعي مع معاني الرموز ويتفقون عليها (لطفي والزيات، 1999). وهنا تؤدي الرموز دوراً محورياً في فهم المجتمعات البشرية؛ إذ إن المجتمع والثقافة ينظر إليهما على أنهما نسقان اجتماعيان وثقافيان أو رمزيان؛ فالثقافة تعرف على أنها نسق معنوي أو رمزي. ويوضح هذه الرؤية بشكل أكثر تحديداً التعريف الذي صكه جيرتز «Geertz» في أنها نمط من المعاني المتضمنة في رموز، والمنقولة تاريخياً، وهي نسق من التصورات المتوارثة المعبر عنها في أشكال رمزية، عن طريقها يتصل الناس بعضهم ببعض ويواصلون وينمون اتجاهاتهم نحو الحياة (الأسود، 1991). وبهذا الصدد يذهب أنصار التفاعلية الرمزية إلى أن جميع صور التفاعل بين الأفراد تتضمن تبادلاً للرموز. فعندما نتفاعل مع الآخرين نبحث دوماً عن المفاتيح لأفضل أنماط السلوك في السياق الذي يحدث فيه التفاعل، وعن المفاتيح لكيفية تفسير ما يقصده الآخرون، وتلفت التفاعلية الرمزية انتباهنا إلى تفاصيل التفاعل بين الأشخاص، وكيفية استخدامها في فهم ما يقوله الآخرون ويفعلونه (عبدالجواد، 2002). وفي هذا الإطار يطرح نورمان دنزن «Norman k. Denzin» مجموعة من القضايا النظرية للتفاعلية الرمزية التي تساعد قرارتها على إيضاح العلاقة بين الرمز والفعل وبين سلوكيات الأفراد وما تحمله من معانٍ ذات دلالة:

1- ربط السلوك الضمني (الكامن) بأنماط السلوك الظاهرة؛ فالباحث يجب أن يبدأ من أنماط السلوك الظاهرة، ثم يحاول الكشف عن المعاني التي يضفيها الفاعلون على هذه الأنماط السلوكية.

2 - يركز الباحث على الذات كموضوع ولعملية في الوقت نفسه؛ فيدرس السلوك من وجهة نظر الأفراد الذين يدرسهم، موضحاً تحول الذات عبر المعاني المختلفة في المواقف السلوكية المختلفة.

3 - محاولة ربط الرموز والمعاني التي يستخدمها الأفراد في الدوائر الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية الأوسع.

4 – إذا كان السلوك يظهر داخل «مواقف»، وإذا كان المعنى الذي يضفي على هذه المواقف يؤثر على أنماط السلوك اللاحقة، فإن التحليل الموقفي يجب أن يكون عنصراً أساسياً في الدراسة؛ (بحيث تتضمن عناصر الموقف، وهي: الفاعلون كموضوعات، مميزة التفاعل أو مكانه، المعاني التي تظهر في الموقف، والوقت الذي يستغرقه التفاعل) (زايد، 1984). فالتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات يتم عن طريق الرموز، ولا يقتصر التفاعل عن طريق اللغة والكلام، بل إن هناك «إيماءات وإشارات يدوية وأفعالاً قد تحمل عديداً من المعاني والدلالات الاجتماعية؛ فالرمز الدال هو المعنى المشترك المتفق عليه ويتم في ضوئه التفاعل الاجتماعي.

الشرف كرأس مال رمزي:

يعد رأس المال الرمزي أحد أشكال رأس المال التي تحدث عنها بورديو في كتاب Forms of Capital، ويقصد برأس المال الرمزي (Symbolic Capital) الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة؛ كالشرف (Honor)، والهيبة (Prestige)، والسمعة الطيبة (Renown)، والسيرة الحسنة (Reputation)، التي يتم إدراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع. ويرى بورديو أن رأس المال الرمزي مثله كمثل أية ملكية أو أي نوع من رأس المال يكون مدركاً من جانب فاعلين اجتماعيين، وتسمح لهم مقولات إدراكهم بمعرفتها والإقرار بها، ومنحها قيمة (مثال الشرف في مجتمعات البحر المتوسط هو صيغة نمطية من رأس المال الرمزي، لا توجد إلا عبر السمعة؛ أي التمثيل الذي يقوم به الآخرون في حالة اشتراكهم في مجموعة معتقدات خاصة، تجعلهم يدركون ويقيمون خصائص معينة، وأنواعاً من السلوك إذا كانت شريفة أو مخلة بالشرف) (عبد العظيم، 2011). كما يشير إلى درجات المكانة التي يكتسبها الفرد، ويتم التعبير عن هذه المكانة أو القوة الرمزية من خلال علامات التمييز داخل المجال لكل من تلك العلامات التي تعمل على إبراز المكانة الاجتماعية وتأكيدها (بدوي، 2009). وبهذا الفهم يمكننا القول: إن رأس المال الرمزي يعد بمثابة قوة يمتلكها الفاعل الاجتماعي، قوة قد تتحول بنوع معين من الممارسات إلى عنف رمزي عن طريق فرض مجموعة من الأفكار والإدراك على الفاعلين المُسيطر عليهم والذين يرون بدورهم أن ذاك دليل على عدالة النظام الاجتماعي، وعلى هذا النحو يعد العنف الرمزي أكثر فاعلية من العنف الجسدي أو الفيزيقي؛ ذلك أنه متضمن في أنماط الفعل وبنى الأفراد الذهنية؛ ومن ثم تكون النتيجة فرض الرؤية الشرعية للنظام الاجتماعي القائم (يتيم، 2011).

الشرف في ضوء التوجه النظري:

اعتمدت التفاعلية الرمزية في بنيتها الأيديولوجية على التفاعل الاجتماعي عن طريق الرمز ذي الدلالة الاجتماعية، ويتم التفاعل وفقاً لما يعنيه هذا الرمز لنا كأبناء جماعة ثقافية واحدة، لديهم قيم ووعي مشترك، بالإضافة إلى أن التفاعل الاجتماعي لا يقتصر على اللغة والكلام فقط بل يمتد إلى الإيماءات وتعبيرات الجسد. ونظراً لكون «الشرف» مفهوماً ثقافياً نسبياً، يختلف مفهومه وبنيته من مجتمع إلى آخر، فهو مفهوم رمزي يحتوي على مجموعة من الأكواد والرموز التي تحمل دلالات ومعاني اجتماعية، يفهمها أبناء المجتمع الواحد والثقافة المشتركة، ويتم التفاعل الاجتماعي وفقاً لما تعنيه لنا تلك الدلالات الاجتماعية. فعلى سبيل المثال، نجد بعض المجتمعات تنظر إلى عذرية الفتاة على أنها رمز للشرف، ويتم التفاعل مع ذلك الرمز وفقاً لدلالته، فالفتاه العذراء هي صاحبة العفة والطهارة والأصل الطيب والخلق الكريم؛ ومن ثم يتم التقرب والتودد إلى تلك الفتاة والزواج منها. كما نجد أن كبار السن يرمزون إلى الحكمة والخبرة والاحترام والتقدير؛ ومن ثم يتم التفاعل معهم وفقاً لهذه الرموز التي تدعو إلى احترام الكبير وتبجيله وأخذ رأيه ومشورته في كل شيء.

إذن، يمكن القول: إن الشرف مفهوم له رموز؛ تتضمن تلك الرموز دلالات ومعاني اجتماعية تم التوافق الجمعي عليها من قبل أفراد المجتمع، ويكون التفاعل الاجتماعي معها بناء على تلك الدلالات، ولعل عدم معرفة دلالة الرمز يؤدي إلى فشل عملية التفاعل؛ نظراً لاختلاف السلوك الاجتماعي المتوقع قياساً على دلالة المعنى، فعلى سبيل المثال نجد أن هناك رموزاً وإيماءات محددة تُكون انطباعاً لدى متلقيها يغذي قيمة الاستهانة والتقليل من الشأن، كما أنها قد تجلب العار لمرتكبها، وبناء على ذلك، فممارسة تلك الإيماءات مع عدم معرفة دلالاتها الاجتماعية توقع الفاعل الاجتماعي في موقف تفاعلي يحيطه الاستهجان والرفض والنبذ من قبل بقية المتفاعلين في موقف التفاعل الاجتماعي.

سابعاً - مفاهيم الدراسة:

يعد الشرف والرمز من المفاهيم التي يَصعُب تحديدها وصياغتها في إطار محدد؛ وذلك لارتباطها بالخصوصية الثقافية للمجتمع الذي يعمل على صياغتها وتحديد

أبعادها، ولعل ثقافات الشرق – بصفة عامة – يوجد بينها ما يسمى العموميات الثقافية فيما يتعلق بالشرف في إطاره العام؛ فالصدق والأمانة والكرم والوفاء بالعهد، كل ذلك يندرج تحت الشرف، ولكن على الرغم من ذلك هناك خصوصيات ثقافية تكون أكثر دقة في صياغة مفهوم الشرف وتحديد رموزه وسنستعرض في ضوء ذلك مجموعة من المفاهيم التي تناولت الشرف والرمز، ومنها:

(أ) الشرف في اللغة:

الشرف لغة هو العلو؛ وذو الشرف يُراد به ذو العلا والرفعة، والرجل إذا علت منزلته فهو شريف، ولا يكون له علو المنزلة أو المكانة إلا إذا كان متمعاً بصفات كالحلم والأمانة والمروءة والفضيلة والإخلاص وغيرها من الصفات التي يرتفع بها قدره، فالاعتداء على شرفه في مساس بصفة في الفرد، لها اعتبار في رفع قدره ومكانته. (عبد العال،2003 :190).

ووفقاً لقاموس أوكسفورد فإن الألفاظ الدالة على الشرف في اللغة الإنجليزية تعود إلى عام 1375، وتتضمن السمعة الطيبة والاحترام والتبجيل؛ فالشرف هو احترام الذات ونزاهة النفس، كما أن الشرف لديه القدرة على إبعاد الأفراد عن الرذائل ومن دون الشرف ستنهار جميع الفضائل (French, 2002). فالشرف هنا يعد بمثابة السلطة التي تحكم الأفكار والتعبيرات والسلوكيات وتساعد المجتمع على تحقيق التماسك الاجتماعي من خلال رصد الرأي الذي تشكله البيئة الاجتماعية عن أي واحد منا (Del Ama, 2009).

إذن، فالشرف مجموعة من الخصائص التي تُكون سمت الرجل الشريف أو صفته، فكلمة الشرف إذا ما أعطيت كانت أقوى من العقد والكتابة، ولا يجوز التحلل منها (عبد العال،2003: 192). وقد أشار بيت ريفرز «Pitt Rivers» في مقالته المنشورة عام 1966 إلى أن الشرف مفهوم ثقافي نسبي يختلف من مجتمع إلى آخر؛ الأمر الذي يصعب معه تحديد واضح للمفهوم، وقد ذكر ريفرز أن الشرف في أبسط معانيه هو القيمة التي يتمتع بها الشخص في نظره، وكذلك مدى تقدير المجتمع لذلك الشخص (Gercek, Swing, 2012).

ويرتبط الشرف في بنيته المعرفية بالشعور والإحساس؛ فالشرف حالة وجدانية يشعر بها الفرد نتيجة التزامه بالقيم والمعايير الاجتماعية، وبناء على ذلك؛ فالشرف مفهوم سيكولوجي ينبع من تقدير الفرد لذاته وتقدير الآخرين له (Casimir,2009). ويعرف الشرف على أنه عملية اجتماعية تربط بين الهوية والقيم الاجتماعية؛ مما يخلق المظهر الاجتماعي للوجود والأفراد والجماعات؛ فالشرف يركز على الواقع الاجتماعي الذي يؤثر بدوره في صياغة المفهوم، بما في ذلك عملية تحديد الهوية، ويصبح الشرف هو المعبّر الأول عن قيمة الشخص الاجتماعية والهوية (Oprisko, 2011). وتعرّفه آمال عبد الحميد بأنه حالة من الاستقامة غير الملموسة، الناتجة من الالتزام بالقواعد الأخلاقية لكل من الرجل والمرأة، فهو شعور قوي بالكرامة الناتجة من السلوك المقبول اجتماعياً، فهو أساس للمقياس الأخلاقي للفرد وخاصة المرأة. ولا يقتصر المفهوم على الفرد فقط بل يمتد في المجتمع الأكبر من خلال عضوية الفرد؛ إذ إن شرف الفرد هو شرف جماعته القرابية وشرف مجتمعه المحلي؛ فالشرف ليس مفهوماً ذاتياً بل هو مفهوم جمعي (عبد الحميد، 1998).

وبهذا الصدد يمكن صياغة التعريف الإجرائي للشرف بأنه: حالة من الرضا النفسي والقبول النسبي، تتشكل لدى الفرد في ضوء التزامه بالقيم والمعايير الاجتماعية، وتعكس الصفات التي يجب أن يتحلى بها المرء الشريف، وفي حالة مخالفتها يشعر الفرد بالذنب ويواجه بالاستهجان الاجتماعي.

1- الشرف والعار والبعد السيكولوجي:

يعد الشرف والعار بمثابة خصائص نفسية واجتماعية ورمزية تعمل على تنظيم السلوك الاجتماعي للفرد، وعلى حد تعبير « أرسطو» أن الشرف نوع من القيمة وأن العار هو نوع من الألم وعدم الارتياح والشعور بالذنب لعدم اكتساب هذه القيمة، فالعار هو الحساسية لحكم الآخرين سواء كان ايجابياً أم سلبياً (Karyakina, 2014). إذن، فالشرف والعار وجهان للتقييم يعكسان حجم الهيمنة داخل الجماعة، ويتضمن التقييم إمكانية الاختيار ضمن التسلسل الهرمي المقبول للقيم الاجتماعية التي تتحكم بها المثل التصنيفية وفقاً لهذا المتصل[1].

(1) أعدّ هذا المتصل من قبل الباحث، وقد صمم بناء على المعطيات التي نوقشت في المفهوم.

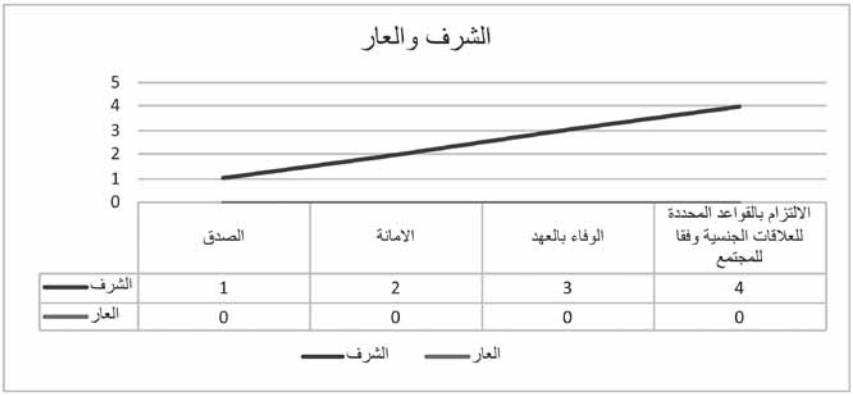

شكل توضيحي يرصد ملخص مفهوم الشرف في صورة التمسك بالقيم الاجتماعية بينما يرصد مفهوم العار في التخلي عن هذه القيم

يتضح لنا من استعراض هذا المتصل أن الصدق يقع في بداية المتصل عند الرقم (1) والالتزام بالقواعد المحددة للعلاقات الجنسية وفقاً للسياق المجتمعي يقع في نهاية المتصل عند الرقم (4)، ولعل لهذا الأمر عدة دلالات، هي: أن الشرف مفهوم قيمي يبدأ في بنيته بالتمسك بالصدق والأمانة وانتهاء بالقواعد المحددة للعلاقات الجنسية. وأنه عند انهيار قيم الصدق والأمانة ينهار الشرف في نهاية المتصل، ولعل هذا يتضح بصورة جلية عند النظر إلى مفهوم العار الذي يبدأ المتصل بفقدان الصدق والأمانة وينتهي بعدم الالتزام بقيم المجتمع، ويعمل على الخروج على القواعد المنظمة للعلاقات الاجتماعية في المجتمع.

2 - الشرف والبعد الجندري:

ارتبط مفهوم الشرف بالبعد الجندري ارتباطاً وثيقاً منذ صياغته في المجتمعات الإنسانية؛ إذ إن مفهوم الشرف المتعلق بالرجل مرتبط نوعاً ما بالقيم الأخلاقية المقبولة اجتماعياً، في حين يرتبط مفهوم الشرف المتعلق بالمرأة بعفتها وعلاقاتها الجنسية. وبناء على هذا التحديد يتبين لنا أن فكرة الشرف إنما ترسم صورة، ولو مبدئية، عن طبيعة العلاقات الاجتماعية وخصوصاً بين الرجل والمرأة. وتعتبر العلاقات الاجتماعية –في حقيقتها– نموذجاً تصورياً مجسداً سلوكياً وفقاً لإطار ثقافي تعارفت عليه الجماعة الواحدة وأعطته الشرعية باسم الثقافة المجتمعية وسلطتها الرمزية.

فالشرف قيمة مشتركة بين الرجل والمرأة، ولكن تمثّل أفراد المجتمع لهذه القيمة يختلف باختلاف موضوعها؛ بمعنى آخر إن النظرة إلى شرف الرجل يختلف عن تصور الشرف إن كان متعلقاً بالمرأة. فبالنسبة إلى الرجل هو الرجولة؛ بمعنى أن الشرف عنده يتعلق بخصائص في الشخصية من كونه رجلاً يتسم بالشجاعة، ملتزم بالكلمة، لا يتلفظ بألفاظ ذات مدلولات جنسية. وتتضمن الرجولة أن يكون حسن السمعة، سواء في نطاق مجتمعه المحلي أو خارجه. ويعد الرجل الذي يغتصب امرأة غير شريف، إذ إن الشرف يتطلب كبح الشهوات ليرقى بها إلى السمو الأخلاقي. على الرغم من هذا كله يحظى الرجل –على عكس المرأة– بالتسامح المجتمعي إن هو تجاوز المعايير في جزئياتها، أما مفهوم شرف المرأة؛ فهو مرتبط بمفهوم العفة. (مختارية، 2018)، فالشرف عند المرأة مرتبط بالمجتمع الذي تعيش في كنفه، وحدوث إساءة أو مساس بمحكات الشرف للمرأة يضعها في مواجهة أمام السياق الاجتماعي بشكل مباشر؛ الأمر الذي يدعو إلى استهجان المرأة وجعلها مصدراً جالباً للعار في الجماعة.

وتتداخل قيمة الشرف كقيمة اجتماعية مع بعض المعايير الاجتماعية الأخرى، من قبيل الحياء والخجل والعيب والفضيلة والعفة، وهو ما يظهر في سلوكيات تؤدي إلى الامتثال أو الانحراف عنها، في سياقات معينة تظهر بشكل واضح في طريقة جلوس الفتاة أو أسلوب المشي، أو شكل الوقوف وطرق الكلام في التعبيرات الجسدية، فالشرف يتعلق بما هو أخلاقي واجتماعي وثقافي (كركوب، 2017). فعلى سبيل المثال طريقة سير الفتاة وأسلوب ارتدائها للملابس غالباً ما يكون محط أنظار المجتمع، ومن خلاله يتم الحكم على الفتاة ومدى التزامها. ولعل ذلك ينطبق على العديد من المجتمعات العربية بصورة عامة وعلى مجتمع الدراسة بصورة خاصة.

يتضح لنا مما سبق أن البنية المعرفية لمفهوم الشرف قائمة على التصورات المجتمعية التي جعلت هناك تمييزاً بين شرف الرجل وشرف المرأة؛ حيث نظرت لشرف الرجل كمفهوم معنوي، يتمثل مداه في الالتزام بالقيم والأخلاق المقبولة اجتماعياً؛ بينما شرف المرأة مفهوم مادي يتجسد في عفتها والحفاظ على جسدها؛ ومن ثم يعد مفهوم الشرف –وفقاً لهذا السياق– أكبر مثال للهيمنة الذكورية في المجتمعات الإنسانية بصفة عامة والمجتمعات الشرقية بصفة خاصة.

(ب) الرمز:

يعرف الرمز اصطلاحاً بأنه «علامة يتفق عليها للدلالة» على شيء ما أو فكرة ما» (مدكور،1983 :92) ويعرف الرمز على أنه منظومة من الإشارات الجسدية والفيزيائية الدالة على معان ودلالات محددة؛ فحركات الوجه وتعبيرات الشفتين والعينين وإيماءات الجسد تُشكل منطلقاً للدلالة الرمزية في اللغة العربية الكلاسيكية، وهذه الدلالة تكاد تعبر عن الجوهر الحقيقي لمفهوم الرمز بوصفه إشارة فيزيائية مادية تدل على معنى أو دلالة خفية غير معلنة أو منظورة (وطفة ،2009: 50).

المفهوم الإجرائي للرمز: دلالات اجتماعية ذات معنى مُتفق عليه مجتمعياً، ويتم التفاعل الاجتماعي وفقاً لها.

ثامناً - الإجراءات المنهجية:

1 - مجتمع الدراسة:

أجريت الدراسة على قرية الشطبية، وهي إحدى قرى مركز ومدينة نجع حمادي، التي تقع شمال محافظة قنا، ويبلغ عدد سكانها1952.87 نسمة، ومساحتها 150 فداناً، منها 70 فداناً أرض زراعية. يحدها من الشمال قرية أولاد نجم ببهجورة– الخط السريع، ومن الجنوب قرية السجيرات، ومن الشرق قرية الخضيرات ومن الغرب مركز ومدينة نجع حمادي (إدارة تكنولوجيا ونظم المعلومات، 2018).

بتصرف عن (Source: SRI, 2019)

(أ) وصف موروفولوجي للقرية:

مساحة القرية صغيرة نسبياً مقارنة بالقرى المجاورة، وهي أربعة أقسام (منطقة الفوايق، منطقة الجامع الكبير، المنطقة الغربية، المنطقة الشرقية). تعد الزراعة النشاط الأساسي في القرية ويعد محصول قصب السكر محصولها الرئيس، وتمثل بعض المحاصيل البقولية في فصل الشتاء – كالفول والقمح، والموالح، وبصفة خاصة المانجو – محاصيل ثانوية، غير أنه بدأت في الآونة الأخيرة موجات التغير تؤثر على القرية. وفي ظل ضعف العائد المادي الذي تحققه الأراضي الزراعية من جراء بعض السياسات الاقتصادية التي يمر بها العالم، بدأ بعض ساكني القرية يتجهون نحو

آنشطة اقتصادية إلى جانب النشاط الزراعي، وتتمثل تلك الأنشطة الاقتصادية في المحال التجارية وورش تصنيع الأثاث ومشغل للفتيات. أما عن طبيعة المسكن فإن المنازل كانت في بداية الأمر بعيدة عن الأراضي الزراعية، وكانت من الطوب (اللبن والطين)، وتتكون من دور واحد، ونظراً للتكدس السكاني وعودة بعض أبناء القرية من دول الخليج بدأ شكل العمران والبناء يتخذ صيغة أخرى، أهمها الزحف على الأراضي الزراعية بكثافة، كما تغيرت طبيعة المباني؛ حيث تم البناء بالإسمنت المسلح عوضاً عن الطوب، وارتفع المبنى ليشمل أربعة أدوار كمتوسط عدد الأدوار الموجودة في القرية، وأصبح حجم البناء وجودته معبراً أصيلاً عن مكانة صاحبه.

(ب) البناء الاجتماعي للقرية:

يوجد في القرية خمس عائلات كبيرة، هي: عائلة العزايزة وتقيم في منطقة الجامع الكبير، وعائلة آل فايق وتقيم في منطقة الفوايق، وعائلة العمارنة وتقيم في المنطقة الشرقية، وعائلة السيادة والسوايح في المنطقة الغربية. ينتمي نمط الأسرة في القرية إلى الأسرة الممتدة؛ فيتزوج الابن في منزل والده المقيم فيه. ومازالت العلاقات الاجتماعية في القرية تتسم بالتماسك والتضامن الاجتماعي؛ حيث يقف أهالي القرية معاً في السراء والضراء، كما يوجد نوع من التكافل الاجتماعي متجسداً في صورة جمعية أهلية تعمل على تيسير زواج الأيتام وإكمال مسيرتهم التعليمية، كما أن عملية البيع والشراء في القرية تقوم على فكرة النوتة (التقسيط)؛ حيث يتم السداد عند صرف المعاش أو الراتب أو عند بيع المحصول، ويرى الباحث أن لهذا الأمر دلالته الرمزية التي تشير إلى ارتفاع مؤشر الثقة بين أبناء القرية وتزايد الرصيد المتراكم من رأس المال الاجتماعي لديهم. ولا يوجد في القرية عمدة نظراً لصغر حجمها، ولكن هناك شيخ البلد.

(ج) التعليم في القرية:

يوجد في القرية مدرستان (مدرسة ابتدائية، مدرسة إعدادية)، أما المدرسة الثانوية، سواء الفني أو العام؛ فينتقل إليها الطلاب عن طريق وسائل المواصلات؛ إذ إن مدارس التعليم الثانوي تبعد عن القرية 2 كيلو متر، وتحديداً في مركز نجع حمادي. كما توجد جامعة جنوب الوادي بمقر محافظة قنا على بعد 62 كم من القرية. وتمتاز القرية بارتفاع معدل التعليم الجامعي؛ إذ يبلغ عدد الملتحقين بمراحل التعليم المختلفة 1420 (733 للذكور، 687 للإناث)، منهم 176 من حملة المؤهل الجامعي فأكثر وفقاً لتعداد2018.

2 - منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة من الدراسات الكيفية التي تعتمد على المنهج الأنثروبولوجي، واعتمد الباحث على الملاحظة بالمشاركة أداة أساسية لجمع البيانات؛ حيث تم ملاحظة طريقة أداء المبحوثين عن رصد بعض التفاعلات التي تحدث في الحياة اليومية، فضلاً عن بعض أنماط الجسد، مثل (نبرة الصوت، الإيماءات، تعبيرات الوجه)، وعمد الباحث إلى تصميم دليل مقابلة متعمقة لجمع البيانات، ويقع الدليل في أربعة محاور رئيسة، هي: الأول، ويرصد البيانات الأولية والخصائص الاجتماعية. الثاني: مفهوم الشرف ودلالاته الاجتماعية. الثالث: الشرف ورؤية الآخر. الرابع: الممارسات والمواقف المجسدة للشرف.

(أ) عينة الدراسة ومبررات اختيارها:

أجريت الدراسة على عينة، قوامها 20 مفردة، تم اختيارها بطريقة عمدية، ويرجع انتقاء العينة على هذه الصورة لحساسية الموضوع والخصوصية الثقافية لمجتمع الدراسة، وقد أجرى الباحث عدداً من المقابلات مع أفراد مجتمع الدراسة، ووجد أن نسبة منهم ليس لديهم الرغبة في التحدث في المفهوم ودلالته؛ اعتقاداً منهم أن التحدث في هذا الموضوع خروج على السياق الثقافي والاجتماعي على الرغم من محاولة الباحث إقناع المبحوثين بجدوى موضوع الدراسة وأهميته في رصد مفهوم الشرف في صعيد مصر، وأبرز ملامح الثقافة الفرعية في هذا المجتمع. ومن هنا تبادر لذهن الباحث ضرورة الاعتماد على عينة عمدية، تتوافر فيها بعض الشروط لاختيارها، ومنها:

- أن يكون لديه قدر من التعليم لا يقل عن تعليم متوسط؛ الأمر الذي يوفر حداً أدنى من التعليم.
- ألا يقل سن المشارك عن 22 سنة؛ الأمر الذي يقدم ثراء وتعدداً للصور التي يقدمها الأفراد باختلاف مراحلهم العمرية.
- وجوب تعدد صفات الحالات الاجتماعية بين أعزب، ومتزوج، ومطلق، وأرمل، وذلك يرصد تنوعاً في الخبرات والتجارب والمواقف الاجتماعية.

فيما يلي جدول إحصائي يرصد الخصائص الاجتماعية والثقافية لعينة مجتمع الدراسة، وقوامها (20) مفردة.

جدول (1)

الخصائص الاجتماعية والثقافية لعينة مجتمع الدراسة

المرحلة العمرية	التكرار	النسبة المئوية	النوع	التكرار	النسبة المئوية	المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية	الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية
30–20	4	%20	ذكر	13	%65	متوسط	4	%20	متزوج	10	%50
40–31	11	%55				جامعي	12	%60	أعزب	8	%40
50–41	3	%15	أُنثى	7	%35	فوق الجامعي	4	%20	مطلق	2	%10
60–51	2	%10									
الإجمالي	20	%100		20	%100		20	%100		20	%100

جاء جدول (1) معبراً عن فئات متباينة من مجتمع الدراسة؛ من حيث الفئة العمرية من (20 – 60) عاماً، ولكن يلاحظ ارتفاع نسبة المبحوثين المشاركين في موضوع الدراسة في المرحلة العمرية من (31 – 40) عاماً، وقد كانت هذه الفئة أكثر الفئات العمرية تفهماً لموضوع الدراسة وجدوى دراسته، كما جاءت نسبة مشاركة الذكور أكثر من الإناث في إجراء المقابلة نتيجة الخصوصية الثقافية لمجتمع الدراسة، أما ارتفاع نسبة المبحوثين من ذوي التعليم الجامعي؛ فيرجع إلى العلاقة الوثيقة بين ارتفاع مستوى التعليم وارتفاع مستوى الوعي؛ ومن ثم عرض موضوع الدراسة بطريقة علمية وموضوعية، كما جاءت الحالة الاجتماعية من المتزوجين أعلى نسبة مشاركة مقارنة بالعزب منهم ليرصد لنا تباين الخبرات المجتمعية حول صياغة المفهوم ودلالته.

تاسعاً – نتائج الدراسة:

قدمت الدراسة عدداً من النتائج التي تحدد معالم الشرف في مجتمع الدراسة؛ فقدمت الدلالة الاجتماعية للشرف بشكل عام وكيف تباينت المفاهيم العامة له، واختلفت باختلاف العمر والسن والمستوى التعليمي، وعرضت لحقيقة مهمة، هي ارتباط الشرف بالقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد المتفق عليها في الثقافة الاجتماعية، وأن هناك مجموعة من محددات الشرف؛ كالسنّ والسيرة والملبس وغيرها من المحددات التي عرضت لها النتائج، كما أشارت الدراسة إلى أن ثمة ازدواجية في المعايير التي تحكم من خلالها الجماعة على أعضائها. إن قضية

الشرف قضية تتعلق بها العديد من المتغيرات التي تحكمها وترتبط بها، وتترتب عليها مجموعة من النتائج والآثار التي تُبنى عليها مكانة الفرد في المجتمع، ونعرض في ما يلي لهذه النتائج:

1 - الشرف ودلالاته الاجتماعية .. رؤية مجتمعية:

تباينت مفاهيم الشرف وفقاً للخلفية الثقافية والخصائص الاجتماعية والديموجرافية لمجتمع الدراسة، ما بين حصر المفهوم في القيم والأخلاق الحميدة، والنسب والأصل العائلي، أو اقتصاره على جسد المرأة والحفاظ عليه. وقد تعددت مصادر الشرف لدى الإخباريين؛ فمنهم من يرى أن الشرف مرتبط بالنسب، في حين يرى آخرون أن الفرد هو المسؤول عن بناء الشرف الخاص به، بينما يرى فريق ثالث أن الشرف هو نتاج تفاعل مجتمعي داخل سياق تحكمه الأخلاق والقيم الإيجابية، أو أن الشرف مصدره رمز؛ فالمرأة لديه رمز للشرف، متمثلة في أمه أو زوجته أو ابنته أو حتى الأرض التي يملكها، فكلها مصادر للشرف ومقصد للحكم عليه من خلالها، وبهذا الصدد جاءت استجابات أفراد مجتمع الدراسة حول مصادر الشرف على النحو الآتي:

«النسب والأصل الشريف يعني أنا من قبيلة الأشراف، ونسبي ينتهي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يبقى أنا شريف».

«الشرف هو سمعتي وسيرتي الطيبة بين الناس».

«الشرف هو الأخلاق مجتمعة وخاصة الأمانة والصدق».

«الشرف صفة تمس الروح والنفس والخلق، وهو يعني الكرامة والشهامة والصدق، ويختلف مقدار الشرف من شخص إلى آخر؛ ويتحدد المقدار بناء على ثقة الناس في هذا الشخص».

«الشرف هو العرض، وشرف الرجل عرضه».

«الشرف هو الحفاظ على العادات والتقاليد وعدم الانحراف عنها، والمحافظة على الناس في التعامل، وخاصة المسافات بين الرجل والمرأة».

«الشرف هو بديل الاحترام بين الناس».

«الشرف -من وجهي نظري- لا يتجزأ؛ فهو خاص بالأخلاق وبالأمانة وعدم الكذب والالتزام بالكلمة وعدم الغش والحفاظ على الجسد، سواء بالنسبة للرجل أو

المرأة، كما دعانا الله. فالشرف –من وجهه نظري– هو مكارم الأخلاق والحفاظ على الجسد (الشقان لا يتجزأان؛ فهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً)».

«الشرف مفهوم متعلق بالمروءة والصفات المتعلقة بالدفاع عن الآخرين، سواء بعدم التعدي على حقوقهم أو التصدي للسلبيات، سواء كانت من الإنسان ذاته أو من المحيطين به».

«يقصد بالشرف –من وجهة نظري– نزاهة الأخلاق، لا كذب ولا قول زور ولا خداع ولا سرقة؛ فمن يكذب ليس شريفاً، ومن يسرق ليس شريفاً، ومن يخدع امرأة ليس شريفاً، ومن ينافق مديره ليس شريفاً، ومن يفشي سراً ليس شريفاً، بصرف النظر عن المبررات كالتي يكذب بها على نفسه، أو يقنع بها من حوله».

على الرغم من تباين آراء مجتمع الدراسة حول مفهوم الشرف فإننا نجد أغلب هذه المفاهيم تدور في فلك واحد، وهو الالتزام بالقيم الاجتماعية والحفاظ على العادات والتقاليد وعدم الخروج عليها، إلا أن هناك تعريفاً أضاف بعداً جديداً للشرف، وهو «الشرف الموروث» الذي يكتسبه الفرد من عائلته ومكانتها الاجتماعية. أما ارتباط الشرف بالعرض والمروءة والشهامة؛ فهو أنها صفات محمودة يجب أن يتحلى بها كل رجل لديه شرف، فالعرض في صعيد مصر يتجسد في الأرض والمرأة؛ فكلتاهما تمثل شرف الرجل ويدافع عنهما حتى يلفظ آخر أنفاسه.

2 – الشرف كمفهوم جندري:

التحدث عن الشرف كمفهوم جندري في صعيد مصر بات أمراً لا مفر منه؛ وذلك لأن المجتمع الصعيدي مجتمع ذكوري يفرض الهيمنة الذكورية، ويهمش دور المرأة إلى حد ما؛ ومن ثم أصبح الشرف أمراً مرتبطاً –إلى حد كبير– بالمرأة بل بالجسد الأنثوي. وتمثل قيمة الشرف «العِرض» أهمية كبرى بالنسبة للجسد الأنثوي في معظم المجتمعات التقليدية، وتعد هذه القيمة جزءاً من رأس المال الرمزي، وعلى الرغم من كون شرف المرأة مسألة شخصية خاصة بها، فإنه يمثل رمزاً لشرف الجماعة القرابية بأسرها، وعلى الرغم من ذلك نجد أن الأنثى تحتل مكانة اجتماعية ثانوية، بل هامشية مقارنة بالذكر، إلا أن هيبة الجماعة القرابية ومكانتها تتوقفان على سلوك الأنثى ومدى مراعاتها للمبادئ الأخلاقية أكثر مما تتوقف على الرجل (عبد العظيم،

2007). وقد لاحظ الباحث عند صياغة مفهوم الشرف لدى مجتمع الدراسة أن ثمة اختلافاً بين شرف الرجل وشرف المرأة؛ الأمر الذي يُعضد من وجود هيمنة ذكورية وتهميش أنثوي؛ ويؤكد الإخباريون في مجتمع الدراسة أن:

«شرف الرجل كلمته وأمانته وصدقه».

«شرف المرأة عفتها».

«شرف الرجل مكانته وهيبته بين الناس».

«توصف المرأة بأنها شريفة أو غير شريفة بحسب علاقاتها مع الجنس الآخر».

«شرف الرجل هو كرمه ومروءته وصيانته لعرضه وكرامته».

«شرف المرأة هو حفظها لكرامتها داخل بيتها وخارجه، وأن تحافظ على نفسها وترضي ربها».

«شرف المرأة أخلاقها وكرامتها وعفتها».

«الشرف هو الحفاظ على العذرية».

«شرف المرأة مرتبط بسمعتها وجسدها، وهو يختص بها شخصياً».

«البعض يرى أن شرف المرأة مرتبط بعفتها فقط أو عذريتها، بينما هو في الواقع يكمن في أخلاقها وحسن تربيتها، فلا تكذب ولا تسرق ولا تنافق ولا تخون زوجها وتراعيه في غيابه وفي حضوره، ولا تفشي سره ولا تتحدث عنه بسوء، وتصبر عليه في الأزمات، وتتقي الله في ماله، وأولاده، ولا تُدخل بيته في غيابه من يكره». ونظراً لأن مفهوم الشرف مفهوم ثقافي نسبي يختلف من مجتمع إلى آخر، ووفقاً للسياقات الثقافية والأبنية الاجتماعية، نجد أن بعض حالات الدراسة ذكرت مفهومين للشرف؛ الأول يختص بالثقافة الغربية، في حين يرتبط الثاني بالثقافة الشرقية؛ قائلة: «في البلاد الغربية يقصد بالشرف: العمل والإتقان، وعدم الغش وعدم الكذب – مثل محاكمة الرئيس الأسبق كلينتون بتهمة الكذب وليس على أنه كان على علاقة محرمة بمونيكا لوينسكي، فالقانون لا يفرق بين رجل وامرأة. أما في البلاد الشرقية؛ فالشرف ينحصر في الجسد»، وذكرت إحدى حالات الدراسة أن مفهوم الشرف تم اختزاله في العذرية وحتى يتم الحفاظ على الشرف وضبط الجسد يتم إجراء عملية الختان قائلة: «كمان بيقطعوا جزءاً من جسد المرأة –الختان – بالادعاء أن ده بيحافظ على شرفها

وده طبعاً كلام غلط. والمجتمع بيختزل شرف المرأة في العذرية وده طبعاً غلط؛ لأن هي زي الراجل كلمتها شرف واتقانها لعملها شرف».

وهناك مواقف اجتماعية عديدة تحدث في حياتنا اليومية تؤكد أن الشرف مفهوم أنثوي تتحمل مسؤوليته والحفاظ عليه الفتاة، ويتم اختزاله في العذرية، ومن ضمن هذه المواقف ما ذكرته إحدى الإخباريات قائلة: «كنا في أولى ثانوي وواحدة صاحبتنا مامتها كانت مُدرسة في مدرسة تجاري مشهور عنها أن سمعتها مش كويسة؛ فالبنات اتخانقوا مع بعض، فالفريق الأول خد بنت من الناس اللي بيتخانقوا معاهم وقطعوا القميص الأبيض بتاع المدرسة وجابوا حبر أحمر وقالوا احنا خدنا شرفها، وده بيأكد أن المجتمع بيختزل شرف البنت في عذريتها حتى في السن الصغير ده». كما يذكر مجتمع الدراسة أن البعض يستخدم الشرف، وبخاصة شرف الأهل، في الوعد بشيء ما، أو الوعيد من شيء ما قائلاً: «الراجل بيحلف بشرف أمه ولما حد يحب يضايقه بيشتمه بشرف أمه». تباينت آراء مجتمع الدراسة حول النظر إلى مفهوم الشرف بطريقة متحيزة نحو الجندر؛ فنجد بعض الآراء قد حصرت شرف الفتاة في عفتها وعذريتها وشرف الرجل يتجسد في أخلاقه وممارساته السلوكية؛ حيث ينظر إلى جسد المرأة على أنه قوام يتشكل فيه الشرف بجميع معانيه وأبعاده، في حين نجد البعض الآخر قد رفض انحصار الشرف في الجسد الأنثوي، وذكر أن الشرف مفهوم ثقافي يطبق على الرجل والمرأة على حد سواء، وفقاً لنسق القيم المجتمعية والأفعال الاجتماعية الصادرة عنهما. ولعل تباين آراء المجتمع الواحد تجاه مفهوم الشرف يعكس لنا مدى نسبية المفهوم وارتباطه بعديد من المتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية. وقد كشفت الدراسة عن تباين في رؤية الشرف من منظور الرجل عنها من منظور المرأة، وهنا تبرز أهمية رؤية البعد الجندري كمتغير يوضح تلك العلاقة ويبرزها. فوفقاً لمجتمع الدراسة نجد أن شرف الرجل يتمثل في الأشياء المعنوية والسمات الشخصية؛ كالأخلاق والقيم والشهامة والصدق، في حين يتمثل شرف المرأة في الأشياء المادية الملموسة كالجسد. كما نجد أن شرف المرأة في مجتمع الدراسة لا يتعلق بذاتها فقط وإنما يتعلق بالعائلة ككل، بينما شرف الرجل هو المسؤول عنه، فإذا أخطأ الرجل وانحرف عن النسق القيمي والأخلاقي يقال عنه رجل، وإذ أخطأت المرأة لفظها المجتمع، وقد تفقد حياتها ثمناً لهذا الخطأ. وحول انتقال الشرف نجد أنه بمجرد انتساب المرأة إلى الرجل فهذا يعني تغيراً في مكانة المرأة أو في

نظرة المجتمع إليها؛ فالمرأة التي أنجبت الذكور ينبري أبناؤها في الذود عن شرف أمهم، ويأخذ الشرف مكانة تعادل مكانة الرجل المتمثل في أبنائها الذكور أو زوجها وفي سياق أكبر عائلتها. فالمجتمع يرفع من شأن شرف المرأة ومكانته، ونظراً لقيمة الشرف عند الرجل فإنه يحلف به تأكيداً لصدق قوله، وفي الوقت نفسه عندما يسبه أو ينازعه أحد يهينه بشرف أمه، وهنا أصبح الشرف ذا وجهين؛ ففي الحالة الأولى يكون رأس مال رمزياً، في حين يكون في الحالة الثانية عنفاً رمزياً. بمعنى أن الرجل رأس ماله الرمزي هو شرفه الذي يسعى دوماً للحفاظ عليه والدفاع عنه؛ فعندما يُهان هذا الشرف ويُقلل من شأنه يجعل صاحبه في موقف الدفاع عن النفس، ويمارس العنف بمختلف أشكاله وبصفة خاصة العنف الرمزي؛ لأنه يستخدم رموزاً تقلل من شرف الآخر.

3 - رموز الشرف في مجتمع الدراسة:

الشرف كمفهوم ثقافي نسبي يتسم بخصوصية ثقافية بين المجتمعات الإنسانية، يتكون في بنيته من رموز يعرف دلالاتها أبناء المجتمع؛ فوفقاً للتفاعلية الرمزية يعد الرمز أداة التفاعل بين أفراد المجتمع وفقاً لدلالاته الاجتماعية لديهم، وسوف نستعرض بعض رموز الشرف في مجتمع الدراسة، وفقاً لما يأتي:

(أ) السن:

يعد السن من رموز الشرف في مجتمع الدراسة،؛ فكلما كبر السن ازدادت الخبرة والقدرة على التعامل مع المشكلات الحياتية المختلفة التي تواجه مجتمع الدراسة؛ ومن ثم تحرز هذه الفئة من كبار السن مكانة اجتماعية مرموقة بين أبناء المجتمع، وتصبح لديهم هيبة اجتماعية وهيمنة تعد بمثابة حيازة سلطة رمزية -رأس مال رمزي- تمكنهم من الهيمنة والسيطرة وفقاً لاعتراف أعضاء المجتمع بذلك. ومن العادات التي ترمز إلى مكانة كبار السن وهيبتهم تقبيل يد الكبير أو الشيخ أو كل من له شأن من الذكور في العائلة؛ تعبيراً عن الاحترام ورمزاً للهيبة والمكانة في نفوس أبناء المجتمع، ويذكر أحد أفراد مجتمع الدراسة قائلاً:

«اللي ملهوش كبير يشتريله كبير، واللى مايسمعش كلام كبيره ياتعاتيره».

«الكبير ما يتعوضش كان في إيده الحل والربط».

«كبير العيلة هو شرفها، والناس بتعملنا ألف حساب عشان كبيرنا».

أُعطى السن رمزاً ودلالة لمفهوم الشرف وخاصة في مجتمع الدراسة، ووفقاً لما ذكره بورديو أن رأس المال الرمزي يعد بمنزلة شكل من أشكال رأس المال، يمنح صاحبه الحصول على امتيازات اجتماعية؛ إذ نجد أن كبير العائلة برأس ماله الرمزي يحقق عديداً من المصالح والمنافع لأبناء عائلته؛ الأمر الذي يزيد من حيازة رصيد متراكم من الهيبة والمكانة الاجتماعية؛ ومن ثم زيادة في حجم المنافع والمصالح الاجتماعية والاقتصادية التي تعود بالفائدة على أبناء العائلة أو المجتمع المحلي.

(ب) الملبس:

يعد الملبس من ملامح الثقافة المادية التي تؤدي دوراً حيوياً في تحديد درجة الشرف ومكانته لأبناء مجتمع الدراسة، فالحفاظ على الزي التقليدي في المجتمع من الرموز المهمة للشرف والوجاهة الاجتماعية؛ فارتداء الرجل للجلباب البلدي المصنوع من الصوف يرمز إلى رفعة مكانة صاحبه. وكلما ارتفعت جودة الثوب وفخامته دل ذلك على مكانة الشخص وهيبته في المجتمع، ولذلك يحرص أعضاء المجتمع على ارتداء هذه الثياب في جميع المناسبات الاجتماعية. أما بالنسبة للمرأة فكلما كان الملبس أكثر حشمة وغطى جميع جسدها ازتفعت مكانتها وهيبتها بين أفراد المجتمع.

(ج) السمعة الطيبة والسيرة الحسنة:

ترصد الصورة الذهنية المكونة عن الآخرين رمزاً جديداً للشرف في مجتمع الدراسة؛ فالسمعة الطيبة ترمز للشرف والمكانة الاجتماعية، ولكن السمعة الطيبة لا تتكون إلا من خلال التفاعل الاجتماعي والاحتكاك المباشر بين الفاعلين الاجتماعيين، وعلى حد قول أحد الإخباريين:

«تعرف فلان قال أعرفه، قال له عاشرته قال لا، قال له يبقى ماتعرفهوش»؛ الأمر الذي يدل على أن السمعة الطيبة والسيرة الحسنة تستغرق وقتاً طويلاً من الزمن يمر بسلسلة من التفاعلات الاجتماعية يتخللها عديد من المواقف الاجتماعية التي يظهر بها الفاعل الاجتماعي صاحب السمعة الطيبة بالشهامة والمروءة والأخلاق الحميدة، وقد أكد الإخباري أهمية السيرة الحسنة قائلاً: «السيرة أطول من العمر» ولعل هذا يؤكد أن الشرف إرث ثقافي؛ فقد تكون السيرة الحسنة والسمعة الطيبة للعائلة بمثابة الرصيد المتراكم لرأس المال الرمزي للأبناء.

(د) المهنـة:

مما لا شك فيه أن المهنة تعطي لصاحبها مكانة اجتماعية مكتسبة، وحراكاً اجتماعياً صاعداً وفقاً لطبيعة المهنة؛ فنجد بعض المهن في مجتمع الدراسة تمنح صاحبها هيبة ومكانة، وتعد رمزاً من رموز الشرف ومن هذه المهن؛ ضابط الشرطة، ضابط الحربية، وكيل النائب العام، الطبيب، أستاذ الجامعة، المهندس. فصاحب المهنة لا يكتسب مكانة وهيبة تقتصر عليه وحده بل تعود على عائلته بأكملها، ويذكر أحد الإخباريين قائلاً: «أنا أخويا بقي ضابط في الجيش ومشرفنا في كل مكان وكمان الناس بقيت تعملنا ألف حساب». ويتضح لنا هنا أن المهنة كرأس مال ثقافي شكلت رأس مال رمزياً، تمثل في الشرف والهيبة والمكانة الاجتماعية تحولت إلى تحقيق منافع اجتماعية واقتصادية عبر الهيمنة الاجتماعية.

(هـ) الأخذ بالثأر:

على الرغم من التغيرات الاجتماعية والتحولات الثقافية التي تمر بها مجتمعاتنا، وعلى قدر التقدم التكنولوجي والطفرة العلمية فإن مجتمعات الصعيد مازالت تعاني من ظاهرة الثأر، فالأخذ بالثأر وفقاً لقيم المجتمع ومعتقداته يعد بمثابة شرف، وعدم الأخذ به يعد جلباً للعار، وبهذا الصدد يذكر أحد أفراد العينة قائلاً:

«أنا أعرف واحد معرفش يجيب تار أخوه وساب البلد وطفش، الناس كلها بتقول ده جاب العار لأهله».

«الراجل اللي مايأخدش تاره بيده يبقى يموت أحسن أو يلبس طرحه زي الحريم». ولعلنا نلاحظ أن هناك العديد من جلسات الصلح العرفي التي تتم بين عائلات بينها ثأر، لا تلتزم بها بعض العائلات وذلك نتيجة نظرة الاستهجان والاستبعاد الاجتماعي من قبل المجتمع؛ وذلك لأن من يقوم بالصلح عليه تقديم كفنه، وفي هذه الحالة يصبح الرجل الذي قام بتقديم كفنه بالنسبة لباقي أعضاء المجتمع في تعداد الموتى؛ والأمر لا يقتصر عليه وحده بل يمتد إلى باقي أفراد عائلته؛ الأمر الذي يسلبهم الهيبة والمكانة والشرف.

(و) العذرية:

تعد العذرية من أهم تجليات الشرف ورموزه، خاصة في مجتمع الدراسة؛ حيث ترمز العذرية إلى العفة والالتزام الديني والحفاظ على شرف العائلة بأكملها، ولعل مجتمع الدراسة يربط بين الحفاظ على عذرية الفتاة وعملية الختان؛ لسيادة معتقد أن عملية الختان تضمن تمسك المرأة بالفضيلة سواء قبل زواجها أو بعده، ولذلك نجد هناك ارتفاعاً في معدلات الختان في صعيد مصر، إضافة إلى مجموعة من الممارسات الثقافية والضوابط تفرضها العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية على الفتاة حتى تحافظ على سمعتها وعفتها، ومن ثم شرفها، ومن هذه الممارسات ما ذكرته إحدى الإخباريات قائلة: «إحنا اتربينا على إننا نلبس لبس معين في الشارع، وما ينفعش نتكلم بصوت عالي، ما ينفعش نضحك بصوت عالي عشان عيب». «ما ينفعش البنت تكلم ولد في الشارع أو توقف معاه، أو تكلمه في التلفون وخاصة بالليل». «البنت تلبس لبس واسع وتحت اللبس بنطلون» «لو البنت حتكلم حد متوطيش صوتها[2]». وتتكلم بصوت عال عشان اللى قدامها ما يفهمش غلط» «البنت ما تحطش مكياج إلا بعد الخطوبة والجواز». يتضح لنا أن القيم والعادات الاجتماعية جاءت لتحدد السلوك الاجتماعي للفتاة وترسم أبعاد عملية الفعل الاجتماعي، في وسط اجتماعي قائم على الشرف والسمعة والعفة؛ ومن ثم تم وضع هذ الضوابط ومحددات السلوك ومن تخالفها تعرض نفسها للنبذ واللوم من قبل الآخرين في المجتمع. فطريقة الحديث وأسلوب الحديث ومضمون الحديث ومدة الحديث ولغة الحديث من المجسات المهمة التي ترصد الممارسات الثقافية فيما يتعلق بالحفاظ على الشرف.

4 - الشرف في مجتمع الدراسة وازدواجية المعايير:

مما لا شك فيه أن التمسك بالقيم والعادات الاجتماعية القويمة من شأنه أن يزيد من التماسك الاجتماعي ويدعم النسيج الاجتماعي بين أفراد المجتمع؛ فالشرف والكرامة والعفة والهيبة والسمعة الطيبة، قيم نبيلة لا يمكن التخلي عنها، وينبغي عدم وجود ازدواجية في المعايير؛ ومن ثم يجب أن يتم الحد من الهيمنة الذكورية وأن لا يتجسد مفهوم الشرف في جسد الفتاة فقط؛ فشرف الرجل كشرف الفتاة لا اختلاف

(2) ماتوطيش : لا تخفض صوتها.

بينهما، والمجتمع ذاته مازال يعاني من ازدواجية في تطبيق المعايير، ولعل ما يؤكد ذلك ما ذكرته إحدى حالات الدراسة من موقف حدث أمامها قائلة: «في موقف حصل واحدة زميلتنا في الشغل امبارح بتسأل على مدرسة لبنتها اللي حتدخل أولى إعدادي وبتقول عايزة مدرسة بنات كويسة علشان البنات بتشجع بعض على البوظان وتكلم ولاد وكده وبعد كده لما كملنا كلام قالت إنها زعلانة أن ابنها في جامعة الأزهر (الفرقة الثالثة) ومش بيكلم بنات وبيتكسف منهم وبتقول نفسها يكلم بنات». وذكرت إحدى الإخباريات أن المجتمع حدد بعض الممارسات الثقافية التي يجب أن نلتزم بها ذكوراً وإناثاً حتى نحافظ على قيمة الشرف، إلا أن الذكور يفعلون كل شيء دون عقاب أما الفتاة؛ فإنها إذا خالفت ممارسة واحدة أصبحت عديمة الشرف وجالبة للعار، وتساءلت الإخبارية قائلة: « مش عارفة ليه بيحكموا على البنت من كلامها مع الرجال، ممكن تكون بتتكلم عادي زي مثلاً لما يكون زمايل في الشغل أو أي حاجة، ليه بيقولوا ماينفعش نكلم ولد زميلنا في وقت متأخر ما هما نفس الأشخاص وهو نفس الكلام هيفرق في أيه الوقت، في مقابل ده طبعاً الولد من حقه يكلم أي حد من غير ما حد يقول عليه حاجة. ليه البنت مش من حقها تضحك في الشارع ولو ضحكت بصوت عالي بنلاقي نظرات غريبة ما احنا بني أدمين كلنا زي بعض».

5 - الممارسات الثقافية المرتبطة بالشرف في مجتمع الدراسة:

يوجد كثير من الممارسات الثقافية التي ارتبط وجودها منذ قديم الأزل بالشرف والحفاظ عليه، ولعل مجتمع هذه الدراسة القابع في أقصى الجنوب المصري، ما زال متمسكاً بتلك الممارسات الثقافية ومحافظاً عليها حتى يحظى بالشرف بين أبناء المجتمعات الأخرى ، ومن هذه الممارسات:

- ختان الإناث:

بداية يطلق أعضاء المجتمع على عملية الختان مصطلح «الطهارة»؛ وذلك اعتقاداً بأن الجسد الأنثوي يُطهر بقطع جزء من جهازه التناسلي، كما تعد عملية الختان في مجتمع الدراسة من أهم الممارسات الثقافية التي تحافظ على شرف الفتاة وعذريتها، وتعزز من مكانتها بين أبناء مجتمعها، وقد ساد الاعتقاد في مجتمع الدراسة أن الفتاة غير المختونة تصاب بالعقم بعد الزواج ولا تنجب، ولبيان مدى أهمية عملية الختان في

مجتمع الدراسة يذكر أحد أعضائه قائلاً: «البنت لازم تتطاهر؛ لأنها لو ما اتطهرتش تجيب لأهلها العار»، «الطهارة بتحصن البنت وتحافظ عليها»، «سمعة البنت اللي مش مطاهرة بتكون مش كويسة».

من الجلي أمامنا أن مفردات العينة ربطوا الختان –الطهارة– بالجسد الأنثوي المقدس الشريف، في المقابل ربطوا عدم الطهارة بالجسد الأنثوي المدنس. بل نجد أيضاً أن ارتفاع معدلات الطلاق في مجتمع الدراسة ربطه البعض بالمرأة غير المختنة، على الرغم من عدم وجود دلائل ومؤشرات وبيانات إحصائية تؤكد مدى صحة هذا الحديث من عدمه.

- طقوس عملية الختان:

تعد عملية الختان وما يرافقها من طقوس وشعائر عبوراً للفتاة في مجتمع الدراسة؛ فبمجرد انتهاء عملية الختان للفتاة تنطلق الفتاة من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الأنوثة، وتبدأ الطقوس عندما يبلغ سن الفتاة السابعة أو الثامنة من عمرها؛ حيث يتم تحديد موعد لعملية الختان ويتم إحضار الطبيب إلى المنزل، وغالباً ما تتم عملية الختان بشكل جماعي لأكثر من فتاة، وتضع الفتاة حول رقبتها خيطاً رفيعاً من الحرير – يطلق عليه مشهرة – يدفع عنها الأمراض، ويتم خلعه بعد مرور شهر من عملية الختان. ثم يتم زيارة الفتاة وأهلها لمباركة عملية الختان، وتبادل الهدايا والنقوط[3]، ولعل هذه الطقسية تعكس مدى أهمية عملية الختان عند أبناء مجتمع الدراسة، وهي تلقى قبولاً وتأييداً اجتماعياً، وهذا ما يؤكده ارتفاع معدلات ختان الإناث في مجتمع الصعيد على الرغم من الآثار الصحية السلبية التي تقع على الفتاة، إضافة إلى الآثار النفسية.

عاشراً - خاتمة الدراسة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، نعرض لها في ما يأتي:

1- مفهوم الشرف مفهوم ثقافي نسبي، يختلف حتى بين أبناء المجتمع الواحد وفقاً للمستوى التعليمي والمكانة الاجتماعية والوضع الطبقي.

2- الشرف مفهوم جندري في المقام الأول، ويكون أكثر ارتباطاً بالمرأة بصفة عامة وبجسدها بصفة خاصة.

(3) النقوط: هدايا عينية ومادية، يتبادلها أبناء المجتمع في المناسبات، وبخاصة في عملية الختان والزواج.

3- هناك عدد من رموز الشرف Honor Symbols في مجتمع الدراسة، منها (كبار السن، المهن، العذرية، الأخذ بالثأر).

4- هناك ممارسات ثقافية مترتبة على مفهوم الشرف في المجتمع، مازالت قائمة، منها ممارسة ختان الإناث.

5- الرجل مسؤول في مجتمع الدراسة عن حماية شرفه، وذلك بإحكام السيطرة على النساء وإلزامهن الحشمة والالتزام.

6- الشرف يعد بمثابة رأس مال رمزي لحائزه، يمكن من خلاله تحقيق عدد من المنافع والمصالح الاجتماعية.

7- هناك ازدواجية في معايير الشرف وفقاً للنوع الاجتماعي في مجتمع الدراسة.

8- مازال مجتمع الدراسة محافظاً على عاداته وتقاليده وقيمه الاجتماعية وممارساته الثقافية، وبخاصة المتعلقة بمفهوم الشرف لديهم.

9- توصي الدراسة بقيام وزارة الثقافة، متمثلة في قصر ثقافة مدينة نجع حمادي، بإقامة ندوات تثقيفية للشباب في مجتمع الدراسة حول الحقوق والواجبات لكل من الرجل والمرأة في المجتمع.

10- قيام وزارة الصحة، متمثلة في الوحدة الصحية في مجتمع الدراسة، بتنظيم ندوات توعية؛ لرفع معدل الوعي الصحي حول ختان الإناث والآثار الاجتماعية والنفسية والصحية الناجمة عنه.

المراجع:

إدارة تكنولوجيا ونظم المعلومات. (2018). تعداد السكان. مركز نجع حمادي: الوحدة المحلية.

الأسود، السيد حافظ. (1991). المدخل الرمزي لدراسة المجتمع، *حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية*، جامعة قطر، 14: 319-352.

بدوي، أحمد موسى. (2009). ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو، *مجلة إضافات*، (8)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 9-23.

بوزيدي، سولاف. (2014). إشكالية الشرف لدى المرأة : رؤية نقدية للطالبة الجامعية الداخلية بوهران، *مجلة العلوم الإنسانية*،(16)، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 111 – 124.

حسين، مها محمد. (2006). *العذرية والثقافة: دراسة في أنثروبولوجيا الجسد*، [رسالة دكتوراه]، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

رشاد، وهدان محمد.(1995). *القيم الأخلاقية في المجتمع المصري*. القاهرة: دار النصر للنشر والتوزيع.

زايد، أحمد. (1984). *علم الاجتماع: الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية*. القاهرة: مكتبة النصر.

عبد الجواد، مصطفى خلف. (2002). *قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع*. القاهرة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

عبد الحميد، آمال. (1998). *القيم الأخلاقية للمرأة: دراسة متعمقة لقيم العفة والشرف في: المرأة والمجتمع*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

عبد العال، محمد عبد اللطيف. (2003). حول مفهوم الشرف والاعتبار في جرائم القذف والسب، *مجلة الأمن والقانون*، أ(2) : 270 – 309، الإمارات: دبي، أكاديمية الشرطة.

عبد العظيم، حسني إبراهيم. (2007). صورة الجسد الأنثوي في المعتقد الشعبي: رؤية سوسيو أنثروبولوجية، *مجلة الموروث الشعبي الإلكترونية*، ع21، مملكة البحرين على: www.bahrainanthropology.blogspot.com

عبد العظيم، حسني إبراهيم. (2011). الجسد والطبقة ورأس المال الرمزي، *مجلة إضافات*، (15): 55 – 77، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

كركوب، محمد. (2017). سيسولوجيا القيم في الأسرة المغربية، *مجلة تاريخ العلوم* 8(2): 130–140.

لطفي، طلعت؛ والزيات، كمال. (1999). *النظرية المعاصرة في علم الاجتماع*. القاهرة: دار غريب للطباعة.

مختارية، خديجي. (2018). شرف المرأة في الثقافة الجزائرية بين الثابت والمتغير: رصد لمحددات تمثل القيمة، *مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية*، (45): 9 – 23، مركز جيل الدراسة العلمي.

مدكور، إبراهيم. (1983). *المعجم الفلسفي*. القاهرة: الهيئة العامة للشؤون والمطابع الأميرية.

وطفة، علي أسعد. (2009). من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي، *مجلة شؤون اجتماعية*، (104)، الكويت.

يتيم، عبد الله عبد الرحمن. (2011). بورديو أنثروبولوجيا. *مجلة إضافات*،(14): 47 – 69 لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

Abu Lughod, L. (1986). *Veiled Sentiments: Honor and poetry in a Bedouin Society.* Los Anglos: University of California Press.

Blumer, H. (1986). *Symbolic interactionism: Perspective and method.* University of California Press Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey.

Blumer, H. (2004). *George Herbert Mead and human conduct.* Rowman Altamira Press.

Casimir, M. J. (2009). "Honor and Dishonor" and the quest for emotional equivalents. In Emotions as bio-cultural processes (281-316). Springer, New York, NY.

Crook, Z. (2009). Honor, Shame, and Social status revisited. *Journal of Biblical Literature, 128* (3):591-611.

Cooney, M. (2014). Death by family: Honor violence as punishment. *Punishment & Society, 16* (4):406-427.

Del Ama, J. C. (2009). Honor and public opinion. *Human Studies,* 32(4): 441-460.

Dodd, C. (1973). Family Honor and the Force of change in Arab Society. *International Journal of Middle East studies,* 4(1): 40-54.

French, P. A. (2002). Honor, shame, and identity. *Public Affairs Quarterly,* 1-15.

Gercek Swing, B. (2012). *Honor and shame in honor and dignity cultures: How can you re-affirm your own honor once it is tarnished?* [Doctoral thesis] lowa State University.

Guerra, V. M., Gouveia, V. V., de CR Araújo, R., de Andrade, J. M., & Gaudêncio, C. A. (2013). Honor Scale: evidence on construct validity. *Journal of Applied Social Psychology, 43*(6):1273-1280.

Heidi A. Brooks. (2016). The lived experience of honor among first generation *Levantine Arab American Women: A Heuristic study,* [Doctoral thesis] Capella University.

Karyakina, M. (2014). *Social values of heavenly society: the concepts of honor and identity in Paul's letter to Philippians.* [Doctoral thesis] Pretoria University

Miller, W. I. (1995). *Humiliation: And other essays on honor, social discomfort, and violence.* Cornell University Press.

Oprisko, R. L. (2011). *The phenomenology of honor.* [Doctoral thesis] Purdue University.

SRI, (2019). Digital Globe, GeoEye, Earthstar Geographic's, CNES/Airbus DS, USDA, USGS, Aero GRID, IGN, and the GIS User Community.

قدم في : سبتمبر 2019

أجيز في : يناير 2020

JOURNAL OF SOCIAL SCIENCES

A Refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

Honor and its Social Significance in Upper Egypt: «Field Study in Culture Anthropology»

Mohamed Abdelradi

University of Kuwait

Academic Publication Council

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 0253 - 1097

Vol. 50 - No. 2

2022